لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

وقال في موضعٍ آخر « وحجم الشمس اكبر من حجم الارض بمليوني مرة وهي تنتقل بسرعةٍ تجاوز أحياناً ١٥٠ كيلو متراً في الثانية الواحدة » والصحيح أن حجم الشمس لا يزيد على مليون و ٢٧٤ الف مرة من مثل حجم الارض أو مليون و ٤٠٠ الف مرة تبعاً لاختلافهم في قياس قطر الشمس فيكون قد زاد في حجم الشمس ما يعدل حجم الارض ٦٠٠ الف مرة في الاقلّ ...

وأغرب من هذا قولهُ أن سرعتها تجاوز « أحياناً » ١٥٠ كيلو متراً في الثانية كأَن الشمس تسرع تارةً وتبطئ أخرى وما ندري كيف أمكن تحقق ذلك مع أنهم الى الآن لم يتفقوا على تعيين سرعة الشمس . فقد قدَّرها ستروف بسبعة كيلومترات في الثانية وقدَّرها غيرهُ بخمسة وعشرين كيلومتراً وأبلغها آخر الى ستين كيلومتراً وربما زاد بعضهم الى ما وراء ذلك مما لا فائدة من استقصآئهِ ولا يثبت من جملتهِ الا ان الشمس تنتقل في الفضآء واما المسافة التي تقطعها في زمنٍ معلوم فمما أعجزتهم الذرائع في تعيينهِ ولعلهُ لا يزال عقبةً في وجوههم الى آخر الايام

ثم قال « وطول قطرها (أي قطر الشمس) ٦٩٢٤٢٨ كيلو متراً أي قدر نصف قطر الارض ١٠٨٥٥٩ مرة » . وهذا أيضاً من الغرابة بمكان فان ما ذكرهُ من قياس قطر الشمس انما هو قياس نصف قطرها وبعكسهِ

عدد المرّات من نصف قطر الارض التي جعلها قياساً لقطر الشمس فان صوابهُ عدد المرات من قطر الارض وهي « ١٠٨ » فقط والباقي كسر

وقال بعد ذلك « تحرك الشمس في الفضآء كما حققهُ فلكيوّ العرب ومَن خلَفَهم من علمآء الافرنج مثل كوبرنيك وغاليله وكبلر بحركتين احداهما رحوية أي حول نفسها وقد اكتشفها غاليله سنة ١٦١٠ بما رآهُ من تنقل البقع الموجودة على سطحها . والثانية حركتها الانتقالية في الفضآء نحو مجموعة البجعة بسرعة ١٦ كيلومتراً في الثانية الواحدة . . وهذا السبب في وضوح تلك المجموعة كل سنة عن سابقتها »

قلنا وههنا أمور أولها زعمهُ ان حركة الشمس في الفضآء حققها فلكيو العرب ولم يُنقَل الينا أن أحداً من فلكيي العرب اشار الى الحركة التي يذكرها هنا أو تنبَّه لها بل الذي كانوا عليهِ ان الشمس تدور حول الارض كما هو مذهب بطلميوس واين تلك الحركة من هذه . ثم اعتبر هذا القول مع قولهِ بعد ذلك ان حركتها حول نفسها اكتشفها غاليله سنة ١٦١٠ (والصواب سنة ١٦١١) بما رآهُ من تنقُّل البُقَع على سطحها ومعلومٌ أن هذه البُقَع أي السُفَع لا تُرَى الاّ بالآلات البصرية وقد كان اختراع هذه الآلات سنة ١٦٠٩ على يد غاليلاّي وهو اول من رأى البقع المذكورة على وجه الشمس كما يقول ومنها توصل الى اكتشاف حركة الشمس حول محورها فكيف تكون هذه الحركة مما حققهُ العرب من قبلهِ بل كيف يكون كوبرنيك ايضاً قد عرفها وهو قد تُوفي سنة ١٥٤٣ اي قبل الاختراع المذكور بما يقرب من سبعين سنة

اما كبلر وهو من معاصري غاليلاي فلا يُنكَر انهُ ورد في كلامهِ ما يشير الي هذه الحركة قبل اكتشافها وذلك في كتاب نشرهُ سنة ١٦٠٩ الا ان ذلك كان من طريق الحدس اوردهُ في تعليل دوران السيارات حول الشمس . وسبقهُ الى هذا القول جوردانُو برُونُو في مؤلفٍ لهُ ظهر سنة ١٥٩١ وهو اول من قال بهِ فيما ذكروا واما تحقيق هذه الحركة من الطريق الحسي اي بمعاينة حركة السُفَع على وجه الشمس مع تعيين مدة دوران الشمس حول محورها فمما لم يتوصل اليهِ احدٌ قبل غاليلاي

واما حركة الشمس الانتقالية فمن المستحيل ان يكون العرب قد تفطنوا لها لان القول بها لا يمكن الا بعد المعرفة بحركة الشمس حول محورها او اعتماداً على الدليل الحسي من الكواكب على ما سنذكرهُ . وقد كان اول من قال بها لالَنْد سنة ١٧٧٦ وكان ذلك من طريق الحدس ايضاً بناءً على ثبوت الحركة الاولى . قال فان دوران الشمس حول محورها لا يكون الا بقوّةٍ دفعتها من خارج مركزها والقوة التي تحرّك جسماً حول مركزهِ لا بد ان تحرّك المركز ايضاً وتنقلهُ عن موضعهِ اذ لا يمكن ان تُتصوّر الحركة الاولى بدون الثانية . وتبعهُ في ذلك بعض رجال هذا العلم كفُونتنّيل وبرادلاي ولمبير وغيرهم الى ان جاء وِليَم هرشل ودقق في اقيسة المسافات التي بين النجوم وبمقابلتها على الاقيسة القديمة تبين لهُ ان طائفة من الكواكب الشمالية قد انفرج ما بينها وبعكسها ما يقابلها من الجهة الجنوبية فجزم بان الشمس جاريةٌ الى نقطةٍ في صورة الجاثي عيَّن موضعها بين كوكبين معلومين منها وأعلن رأيهُ هذا سنة ١٧٨٣ فلم يكن

في ذلك يدٌ للعرب ولا لكوپرنيك او غيرهِ ممن تلاهُ الى عهد لالَنْد ووليم هرشل

وبقي هنا تسميتهُ الصورة او المجموعة التي ذكر ان الشمس متوجهةٌ اليها بالبجعة وما نعرف صورةً في السمآء اسمها البجعة الا ان يكون اراد الصورة المعروفة بالدجاجة او الإِوَزّة (le Cygne) وهذه لم يقل احدٌ ان الشمس متوجهةٌ اليها ولكن كل من ذكر هذا البحث يقول ان طريقها متجه الى صورة الجاثي او الراقص (Hercule) . ومن الغريب انهُ يقول هنا ان الشمس تنتقل « بسرعة ١٦ كيلو متراً في الثانية » مع انهُ قال قبل ذلك انها « تتجاوز احياناً ١٥٠ كيلومتراً » فبقي ان سرعتها تتفاوت ما بين ١٦ و ١٥٠ كيلومتراً في الثانية فيا لهُ من فرقٍ عظيم ...

وما اضحكنا بعد ذلك كلهِ الا قولهُ « وهذا السبب في وضوح تلك المجموعة (اي مجموعة البجعة) كل سنةٍ عن سابقتها » (كذا) وما ندري ما اراد بالوضوح الذي ذكرهُ فانهُ ان اراد ان نجوم هذه « المجموعة » تزداد وضوحاً في رأي العين اي يعظم نورها او حجمها فهذا لا صحة لهُ لانهُ لم يقل احدٌ ان شيئاً منها انتقل من القدر الثالث مثلاً الى القدر الثاني . وكذا اذا نُظر اليها بالآلات البصرية فانها لا تزيد على ان تُرَى نُقَطاً هندسية ولعلها لن يزال منظرها كذلك ولو صرنا بينها . وان اراد ما ذكرناهُ من انفراج بعضها عن بعض فهذا لا يتميز بين « سنة وسابقتها » ولا يُشعَر بهِ بعد السنين الكثيرة الا بأدقّ الاقيسة في المراصد الفلكية

(ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٨ —

لقد اجمع علماء الارخيولوجيا[١] على ان الانسان عاش الوفاً من السنين على هذه الارض وهو في حالتهِ الفطرية الاولى اي قبل ان ينتقل الى دور الحضارة . يأكل عند ما يتيسر لهُ القوت لا عند ما يجوع ويشرب حينما يصيب ماءً لا متى ادركهُ الظمأ ولا ملبسَ لهُ الا ما على بشرتهِ من الزغب والشعر او ما طلى بهِ بدنهُ من طينٍ[٢] ولا مأوى لهُ الا ما في الاودية والجبال من وجار وكهف

تلك ازمنةٌ لم يقل فيها الرجل ان شطرهُ الطبيعيّ (اي المرأة) محتالٌ

(١) علمٌ يبحث عن حالة الانسان في ادوارهِ الاولى الطبيعية . اي قبل العصر التاريخي (٢) قد ثبت علماً ان الانسان بعد ان عاش زماناً وهو عارٍ اهتدى الى طلي بدنهِ بالوحول اتقآء لذع البعوض وامثالهِ من الهوامّ وسدّ مسامّ الجسم حتى لا يشتدّ عليهِ تأثير البرد القارس والحر الصاهر . ثم لما اهتدى الى الصيد ابدل الطلي بلبس جلود الوحوش التي اصبح قادراً على اقتناصها . ثم نسج صوفها واكتسى بهِ بعد ان فُتح عليهِ فتبين طريقة الغزل والنسج ثم نسج الياف النبات واشتمل بها اشتمالا . ثم اكتشفت ملكةٌ في الصين خاصية دود القز واساليب تربيتهِ والاستفادة من حريرهِ وذلك في شمالي بلاد الصين منذ اكثر من خمسين قرناً اي من قبل عهد الملك فوهي الذي كان قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة . ثم اهتدى الى الخياطة فابدل الاشتمال والتردّي بتفصيل ما شآء على ما يشآء ومن هنا نشأ التفنن في الازيآء الذي ابى ان يستقرّ على حالٍ ما دامت الارض والسمآء

طبعاً مكارٌ غريزةً غدورٌ فطرةً لانهُ لم يكن اذ ذاك اقوى ادبياً من المرأة ولا هي اضعف منهُ بل كان كلاهما في حالةٍ واحدة يسعيان معاً وراء الرزق فيصيبانهِ من جذور النبات والبقول واثمار الاشجار البرية شأن الوحوش النافرة في عرض القفر حتى هذا اليوم . لا بيت للرجل يختص به فيحتبس المرأة فيهِ ولا عروض في الدنيا ولا نقود مسكوكة ليستبدَّ بها دونها . وما من سلاح في الارض ليتقلدهُ غازياً ومدافعاً فيسكرهُ غرور المجد الناشئ عن القوة والمؤدّي الى الغطرسة والعسف . وما من عسكر ليكون لهُ قائداً يكتسح بهِ البلاد ويفتتح الحصون ثم يعود ظافراً بالغنائم . ولا مملكة فيمسي عليها سلطاناً يأمر وينهى ويعزل ويولي فيقول للمرأة « انا ربّكِ الاعلى فاعبديني » . بل كان نوع الانسان يعيش قطعاناً وربارب كالايائل والظباء مقصورةً حياتهُ على بسائط الحاجيات يأكل مما تنبت الارض ويشرب مما تمطر السماء وتنبع العيون ويمتّع حواسهُ بزخرف الطبيعة الزاهي بساطهُ التراب وظلالهُ الكهف والغاب وسلاحهُ الظفر والناب

تلك أزمنة كان فيها الزواج مشاعاً لا قاعدة لهُ يجري عليها ولا قانون يُعمَل بمقتضاهُ لان الشرائع لم تكن وُجدت بعد . وكان كل فردٍ من النوع الانساني حاكماً ذاتهُ مستقلاً بشؤونهِ متولياً امور نفسهِ بنفسهِ يدبر بارادتهِ الساذجة حركاتهِ وسكناتهِ لا سائد بين الافراد ولا مسود ولا غنيّ ولا فقير ولا يمتاز آحاد النوع عن سائرهِ الاّ بما خصَّت الطبيعة بعضهم دون بعضٍ من بسطة الجسم وتوفُّر القوى

ذلك عصرٌ لم تكن فيهِ المرأة موصوفةً بالغدر والمكر والاحتيال كما

زعم الرجل التاريخي بل كان اسلافهُ يحسبونها الرفيق الانيس والاليف الوفيّ والحبيب الكثير الحنان . هكذا عاش الانسان منذ الدور الجيولوجي الثالث حتى زمان الاجتماع ودور العمران ولم يمرّ على مخيلّتهِ وقتاً من الاوقات تصوُّر نسبة هذه الاخلاق الذميمة الى المرأة الاّ بعد ان انفرد عنها ببعض المصالح واستبدَّ دونها بامور وأحوال أدّت الى امتهانها وعزّهِ وتحقيرها وعظمتهِ وتقييد ارادتها خدمةً لاغراضهِ . ولو تأمل قليلاً لعلم انهُ زائغٌ عن الصواب اذ المسبَّبات ناشئة عن الاسباب لا عن الطبيعة ومتى زالت العلة اندفع المعلول

هذا كلامٌ لا بدَّ ان يأتي غريباً على اسماع البعض وتعليلٌ ما تعوّد مواطنونا امثالهُ ولكنهم بقليلٍ من التروي العادل يحكمون بان وراءهُ حقيقة واضحة لا مريةَ فيها ولا جدال ويتعجبون من بقآئها محجوبةً عن بصائرهم كل هذه العصور وعند كثيرٍ من الاجيال

لا مشاحة ان الذين زعموا ان المرأة جُبلت على اللؤم فطرةً قد اساءوا الى المُبدع تعالى اسمهُ وغضوا من شأنهِ لان البارئ تنزهت حكمتهُ أجلّ واحكم من ان يسلّط على الارض وما عليها صنفاً من المخلوقات احد جنسيهِ صالحٌ والآخر شرّير مع انهما من جهة التمثال اكفآء ومن حيث التكليف سوآء . هذا اذا كانوا يدينون بدينٍ كجميع اهل الكتاب وغيرهم ممن يقولون « ان ورآء المادّة قوةً عاقلة تُحدث مبتدعاتها وتجري أحكامها بترتيب وإتقان » واما ان كانوا مادّيين معطلين او دهريين فقد بخسوا الطبيعة حقها ايضاً لان الانسان جُبل شطراهُ من طينةٍ واحدة وأعطي لكلٍ

منهما من الحواسّ الظاهرة والباطنة ما أُعطي للآخر. وعلى هذا نقول ان ليس لهذا الرأي الأَفين من مصدرٍ الّا الغباوة والغرور مبعث الآفات والشرور

ولقائلٍ ان يقول كيف رسخ إذنْ هذا الاعتقاد على فسادهِ الواضح ألوفاً من الاعوام في اذهان البشر ولم تتنبَّه لفسادهِ العقول مع ظهور أفرادٍ من أعلام الرجال على تعاقب العصور والاجيال قد اشتهروا بسموّ المدارك وسداد الآراء حتى عدهم التاريخ أقطاباً وهداةً

فالجواب ان هذا الاعتقاد لم يكن الوحيد باستقرارهِ في ادمغة الناس متوارَثاً خلفاً عن سلفٍ مع مخالفتهِ للحقيقة بل يوجد مثلهُ كثير لم تستفق التصوُّرات ولم تتنبه المخيلات لما فيهِ من الخلل والفساد ومخالفة السداد. والسبب في ذلك ان عامة الناس قد اخضعوا عقولهم منذ البدء للاوهام الناشئة إما عن الجهل واما عن القوانين والاحكام الموضوعة من ذوي السلطات تبعاً لاغراضهم واهوآئهم فاصبحت هذه الاوهام مع تمادي الازمنة الطوال وبقوة المتسلطين الحاملين الرعية على احترامها كانها احكام مسلمة يرسمها الوالدون في مخيلات اولادهم منذ الفطام ويتناولها الخلف عن السلف بالتسلسل والتعاقب كأنها وحيٌ من الآلهة لا يحق للعقل ان يتصرف فيها تحليلاً وتخريجاً ليمحصها ويتدبّرها ويميز صحيحها من فاسدها فينشأ الغلام وتلك الاوهام مبجّنة في دماغهِ باصبعٍ من حديد. وهو محظورٌ عليهِ بحكم التربية والقدوة والتقليد ان يستخدم قواهُ المتصرفة في تكييفها وتعليلها فتثبت معهُ على علاتها مدى الحياة. وهكذا يسلمها الى

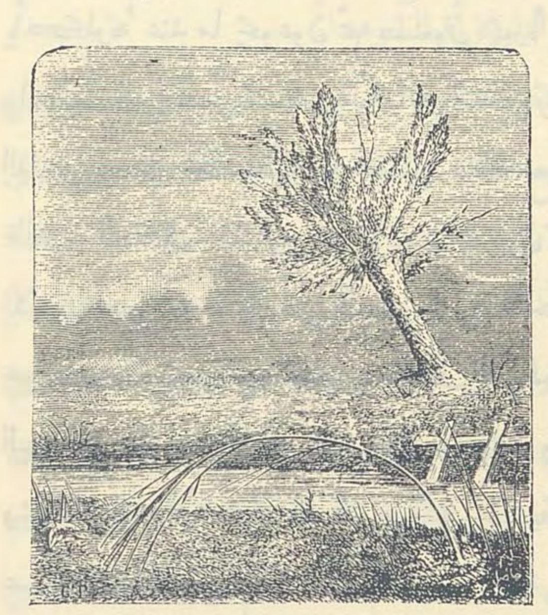
اولادهِ ثم اولادهُ الى احفادهم دون بحثٍ ولا استنتاج . ولولا ذلك لما بقي المصريون مع بلوغهم الشأو البعيد من الحضارة والحكمة والعرفان يعبدون العجل (آبيس) وافاعي الصعيد وسنانير السودان وغيرها من سائر الحيوان الوفاً من السنين ولما لبث مئات الملايين من البراهمة والبوذيين حتى اليوم يكرمون نهر القنج تكرمة معبودٍ ويطأطئون رؤوسهم لمنحوتاتٍ وتماثيل هي عمل ايديهم . ولما عبد قومٌ من العرب صنماً معمولاً من العجوة يأكلونهُ عند ما يجوعون ثم يصنعون غيرهُ حين يشآءون للعبادة . ولما بقيت العرافة من السحر والكهانة والتنجيم راسخة في عقول كل الامم الغابرة وبعض الحاضرة كأنها حقائق دينية مع كونها واضحة السخف ظاهرة البطلان . ولما دام بنو الانسان يقولون بدوران الشمس وثبوت الارض دهوراً متطاولة حتى قام في الزمن الاخير من قال بالعكس الذي هو عين الحقيقة ولباب الصواب فذهب شهيد قولهِ او كاد . أفليس حتى اليوم من يتقرب بالذبائح البشرية للمعبودات ويقتل مع الميت زوجاتهِ وخادماتهِ وخيولهُ اعتقادَ انهُ يُتمتع بهنَّ في الابدية كما كان يتمتع هنا . وماذا عسانا ان نعدّد من امثال هذه الامور

هذا لعمرك سرُّ بقآء كثير من المزاعم والأوهام والأضاليل سائداً على مدارك الانسان احقاباً متطاولة دون ان يقوى العقل على هتك حجابها وتمزيق جلبابها . ولك بما لا يزال راسخاً في اذهان عامتنا حتى اليوم من حوادث الجن والتابعة والعفريت والقرينة والعين الصائبة وغيرها من الترهات والخرافات انصع برهان واوضح دليل (ستأتي البقية)

فصال النبات

لم نجد اليق من هذا اللفظ لما سنذكرهُ في هذا الموضع اخذاً من فصال الحيوان وهو قطعهُ عن الرضاع . والمراد بفصال النبات ان يُعمَد الى فرعٍ من فروع الشجرة فيُعالَج بحيث يمكن ان يستقلّ بنفسهِ فيُفصَل عنها ويصير شجرةً بحالها . وهذا العمل فضلاً عما فيهِ من الانتفاع بتكثير الشجر بالطرق الصناعية فانهُ قد لا يكون منهُ بدٌّ حيث لا يصح التطعيم

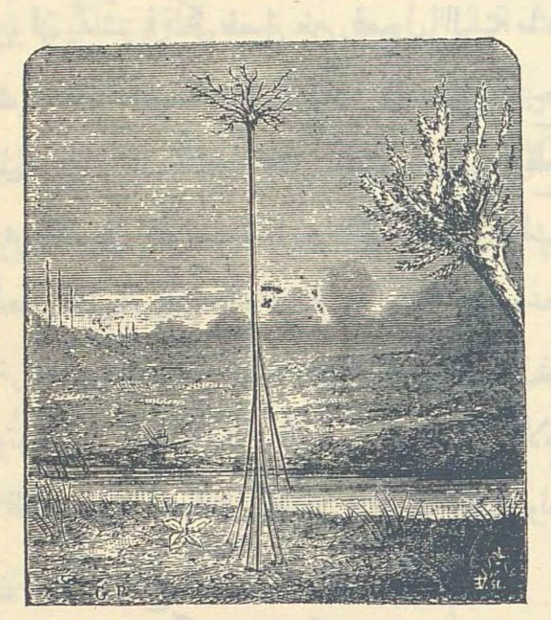
وقبل ان نشرع في الكلام على ذلك نقول انهُ من المقرَّر عند علماء النبات ان كل جزءٍ من ساق الشجرة اذا وُجِد في بيئةٍ رطبة وحُجِب عن النور امكن ان يُخرِج جذوراً والجذر اذا عُرِّض للنور والهواء المطلق امكن ان يخرج



(ش ١)

منهُ فروع وورق . ومن غريب الامتحانات في ذلك ما اجراهُ بعض المولعين بعلم النبات اذ عمد الى نبتةٍ من الصفصاف طويلة الساق فعطفها شيئاً فشيئاً الى ان اوصل طرفها الاعلى الى حفرةٍ حفرها في الارض فدفن هناك اطراف الفروع كلها كما ترى في الشكل الاول فما أتى على

ذلك الا وقتٌ قصير حتى تحوّلت اطراف الفروع الى جذور. واذ ذاك اقتلع الجذور الاصلية من الارض ثم قوّم النبتة شيئاً فشيئاً حتى استقامت واصبح اعلاها اسفلها كما ترى في الشكل الثاني . ولما اصبحت الجذور الاصلية معرَّضة للهوآء والنور ظهرت فيها براعم ثم أخرجت اوراقاً وعادت الشجرة كانها غُرِست على تلك الهيئة ابتدآءً



(ش ٢)

والفصال يكون على عدة اوجه اشهرها ان يُعمَد الى فرع من الفروع التي لا يرتفع منبتها كثيراً عن اصل الشجرة وينبغي ان يكون ذا سنتين في الاكثر فيُخَدّ لهُ في الارض ثم يُدفَن فيها بعد ان يجرَّد من الورق والبراعم الا ما كان في طرفهِ ويُترَك طرفهُ الواحد متصلاً بالامّ والطرف الآخر بارزاً فوق التراب وبعد ان يثبَّت ينصَب لهُ وتدٌ يُشَدّ اليهِ ليمنعهُ من الحراك . واذا كان بجوارهِ فروع لا يمكن فصالها يجب ان تُقطَع لان هذه الفروع بكونها متجهةً اتجاهاً عمودياً تجتذب اليها جميع ماء الشجرة . وتسمَّد الارض التي يُدفن فيها بسمادٍ قديم وينعم كل وجهها

وفي مدة الصيف ينبغي ان تغطَّى الارض بطبقةٍ من التبن او نحوهِ لتبقى رطبةً وتُسقى كل مسآء . واذا كان الغصن طويلاً فقد يُدفن من عدة مواضع ويُترَك ما بين الموضع والموضع بارزاً وبهذه الطريقة يمكن ان ينشأ عنهُ عدة سُوق كل واحدة منها تكون شجرةً مستقلةً وهذا اكثر ما يُفعَل بالكرم

وهذا العمل يمكن ان يُباشَر في كل فصلٍ من فصول السنة ما لم تكن درجة الحرارة تحت الصفر لكن الافضل اجرآؤهُ في فصل الربيع قبل ظهور البراعم الاولى . ثم ان كان الشجر هش الخشب سهل القطع يمكن ان يفصل الفرع عن الام في الخريف التالي واما ان كان صلب الخشب فلا ينبغي ان يُفصَل قبل ان يأتي عليهِ سنتان

وهناك ضربٌ آخر يُفعَل بالسفرجل وغيرهِ وهو انهُ عوض ان يُحفَر للفروع السُفلَى وتُدفَن في التراب يكوَّم التراب حول اصل الامّ حتى تتغطى منابت تلك الفروع وتُترَك كذلك الى ان ينشأ لها جذور واذ ذاك يقوَّض التراب من حولها وتُقطَع فتُغرَس في اماكن اخر

واذا كان الفرع المراد فصالهُ عالياً بحيث لا يمكن دفنهُ في الارض يتخذ لهُ اصيص يُملأ تراباً ويُشَقّ من احد جوانبهِ فيُدخَل فيهِ الغصن ويثبَّت في موضعهِ حتى اذا نشأت لهُ هناك جذور قُطِع من اسفل الاصيص ونُقِل الى الارض

وقد تقدّم ان الجذور اذا عُرّضت للنور والهوآء اخرجت فروعاً وورقاً وبناءً عليهِ فقد يكون الفصال عن طريق الجذور ايضاً فاذا كانت

جذور الشجرة طويلة وقريبة من سطح الارض يُنبش عنها وتُخدَش بجرفةٍ او مرّ في مواضع منها وتترك مكشوفةً للهوآء فلا يلبث ان ينشأ على كل خدش غدَّة يتكوَّن عنها برعم يكون اصلاً لساقٍ جديدة فتفصَل هذه الجذور من الامّ من فوق النقطة التي نشأت فيها الغدَّة وتُغرَس وحدها

ولاهل الصين طريقةٌ اخرى في الفصال يبسطون الفروع السفلى عند اقبال الربيع في حفرة منبسطة ويمسكونها بأَشظّة (جمع شِظاظ وهو عودٌ ذو شعبتين) ويتركونها مكشوفة فاذا افرخت الشجرة خرج من كل برعم غصن ينبت عموديًّا فيغطون الفروع المنبسطة بطبقة من التراب ويسقونها تبعاً للحاجة فكل واحدٍ من الفروع الجديدة ينشأ لهُ عدة جذور في اواخر الصيف فاذا جاء الربيع التالي فصلوا تلك الفروع عن الام وغرسوها فيكون لهم اشجارٌ بعدد البراعم

آداب المجالس

بقلم حضرة الكاتب اللوذعي عزتلو قسطاكي بك الحمصي في حلب

طلب اليَّ بعض الاخوان ان اكتب شيئاً في هذا الموضوع وقد جرى حديثهُ في بعض ليالي السمر فدفعت طلبهم معتذراً بان ذلك او اكثرهُ مما لا يجهلهُ اليوم الا القليل من الناس فلم يقنعهم ذلك والحّوا عليَّ بكتابتهِ لانهُ لا يخلو من تبصرةٍ لغير العارف وذكرى للعارف . ولا يخفى ان هذا بحثٌ واسع يستغرق صفحاتٍ كثيرة فاقتصرت منهُ على ما حضرني من اشهر الاحوال واكثرها وقوعاً ومن سلم ذوقهُ ولطف طبعهُ تكفيهِ اللمحة الدالة ولم يعدم من نفسهِ ما ينبههُ الى سلوك الواجب وتحامي ما يدعو الى الانتقاد

على ان لكل زمانٍ بل لكل طبقةٍ من ارباب الحضارة آداباً مخصوصة ولذلك فاني سأجعل كلامي فيما يناسب العصر الحاضر مما درج عليهِ اهل آفاقنا الشرقية على ان الكثير منهُ مقتبس عن العادات الغربية ولا عجب فانها اليوم مرجع اكثر الامم المتمدنة على وجه الارض

فمن مستملح العادات ان لا تزور منزلاً غريباً قبل الظهر فان ربّة المنزل لا تنتهي زينتها ولا يكمل تبرّجها الا قرب الظهر وهنَّ يكرهنَ مقابلة الزائرين والزائرات قبل ذلك . فان اضطرّك شأنٌ الى مقابلة صاحب البيت فاعمد الى قلم ودواة واكتب اليهِ مستأذناً في مواجهتهِ فهو يعين لك الساعة التي يتفرغ فيها لمخاطبتك . ومن آدابهم ان لا تمد يدك لمصافحة من لا تعرفهُ اذا جمعك واياهُ بيت قريبٍ او صديق حتى يستعرف اليك او ينسبك اليهِ صاحب البيت او سواهُ من اصحابك . واما النساء فايّاك ان تمدّ يداً لمصافحة سيدة قبل ان تؤنس منها ارتياحاً الى ذلك والالم تأمن ان يصيبك معها مايرميك بالخجل . ومن آدابهم ان لا تدخل مخدعاً مغلقاً قبل ان تنقر باصابعك على بابهِ فيقال لك ادخل وان لا تجلس عند مواجهة من هو ارفع منك مقاماً حتى يؤذَن لك في ذلك . وان تبادر الى تحية زائرك ومصافحتهِ بوجهٍ طلق قال الشاعر * بشاشة وجه المرء خيرٌ من القرى * وان تُدني لهُ كرسيًّا بيدك تكلّفهُ الجلوس عليهِ او تشير الى مقعدٍ قريب كانك تأذن لهُ في الجلوس ان كان دون قدرك . ومن آدابهم ان لا تقطع حديث المتكلم وان تصغي الى مخاطبك تمام الاصغاء ولا تحوّل بصرك عمن يكلّمك وان لا تشتم او تلعن او تتلفظ بكلام قبيح فكل ذلك من نهاية قلّة الادب . ومن آدابهم ان لا تقول عند سماعك حكايةً يقصد بها راويها نكتةً او غايةً ما اني اعرفها او سمعتها او ما يشابه ذلك مما يُخجل الراوي فتُنسَب الى الخشونة او الفضول . وان كنت زائراً او مزوراً ولم تجد عُدّةً للحديث فاذخر لمثل تلك الحال حديثاً فكاهيًّا او حكاية مفيدة واجعل ذلك لك زاداً تستعين بهِ عند جمود الذهن وملل الفكر كان تحدّث السامعين بيوم من ايام الشباب او ساعة من ساعات السرور

قضيتها في مثل الفصل الذي انت فيهِ او غريبةٍ سمعتها او لطيفة قرأتها او حادثة تاريخية حفظتها مما يناسب المقام فلكل مقام مقال . واياك والتبجح بما عندك او التفاصح بحضرة من هو اعلم منك وافصح اذ انك لا تأمن العثار فيصيبك من اقتحامك هذا الميدان الخجل والافتضاح . ومن آدابهم ان تخفض صوتك عند المخاطبة فارتفاع الصوت عندهم في المساجلة والجدال دليل على الخشونة والبداوة ونقص الادب . ومن آدابهم ان لا تُسِرَّ حديثاً الى احد الحضور في المجلس لئلا يتوهم متوهمٌ ان حديثك يتعلق بهِ او بامر يهمهُ او بحادثة جرت لهُ وهو يود كتمها. ومن آدابهم ان لا تنصب نفسك حكماً للترجيح بين قول وآخر في مجالس القوم ما لم يدعك الى ذلك ربّ المنزل او المتخالفان . ومن آدابهم ان لا تحسب المجلس وقفاً على حديثك فاني رأيت الناس يبغضون المعجب بحديثهِ الطويل العبارات الكثير الاشارات الذي لا ينطق بكلمة حتى يجيل نظرهُ في الحضور كانهُ يتقاضاهم الاعجاب بكلامهِ والاعتراف بسموّ مداركهِ . ومن آدابهم ان لا تنمّ ولا تنقل حديث قومٍ الى آخرين الا اذا كانت فيهِ فائدة او كان طيّب المغبّة سليم العاقبة . ومن آدابهم التنقل في مواضيع الحديث خصوصاً اذا طال الجلوس فاياك والكلام في موضوع واحد فالانسان خلق ملولاً وقد رأيتُ بعضهم يستلمون زمام الحديث فلا ينصرفون عن ذلك المجلس حتى تزهق النفوس من طول حديثهم وثقل الفاظهم وبرودة كلامهم كأن يشنّعوا على عدوٍ لهم او يحدثوا القوم بتجارتهم او يتفاخروا بصناعتهم او فرط نباهتهم او يتكلموا في مسئلة علمية وليس كل من في المجلس ممن يهتم لذلك او يعنى بهِ او يحبّ استماع ذلك المقال فاياك وذاك فهو من اقبح العيوب . ومن آدابهم ان لا تتنقل من مكان الى مكان ومن كرسيّ الى آخر وان لا تغدو رائحاً جائياً في المجلس فهي من علامات الطيش ونقص التربية . ومن آدابهم ان لا تهين عدوًّا اذا جمعك واياهُ منزل قوم وان لا تستخفّ باحد في مجالسهم . ومن كمال الظرف عندهم ان تظهر غاية الاستحسان لما تريكهُ ربة المنزل من صنع يدها او صنع من في بيتها وان بدا

لك فيهِ نقص فأشر اليهِ بدقة في عُرض الحديث فانَّ صدق النقد لا ينفي عامة الحسن مما هو حسن ولا سيما وان مثل ذلك لا يكون الا بين الاهل وذوي المودات فالصمت في مواقع الاستحسان من علامات الحسد والغيرة فاطلق لسانك في المدح لمن يستحقهُ ولا تخجل من ذلك

واری ان اختم هذه المقالة بكلام لاحد مشاهير الفلاسفة من الفرنجة كتبهُ عن قوم عرفهم وعاشرهم وقد جمع فيهِ غاية الكمالات المطلوبة ومنتهى آداب المخالقة ورقة المعاشرة . قال ما محصلهُ

من رام ان يبتعد عن اناس عواطفهم ملق وثقتهم مكر وصحبتهم غشّ وذمتهم غدر ووداهم حسد وعلمهم جهل واحبّ ان يرد ينابيع الفضائل والحقائق ويستروح نسيم الاخلاص والمودة الصادقة فليقصد مجامع قومٍ اسعدني الدهر بغشيانهم فلهجتهم سلسة بيّنة لا شيء فيها من التكلف والرطانة والثقل وحديثهم بهيج بغير جلبة ولا صياح تتوسم فيهِ العرفان بغير تشدّق واللطف بلا تصنع والظرف بلا تخنث والدعابة بغير خبثٍ ولا تورية وعلى الجملة فحديثهم لا يحاكي الخطب المدققة التي تلقى في حلقات المدارس ولا قصائد الهجاء والتنديد وهم يُقنِعون بعضهم بعضاً دون ان يحتاجوا الى شهود او براهين فيتمازحون بكلام غير مبطن ولا ملمع وقد جمعوا بين التعقل والصواب بفطنة هي غاية الغايات ومثل ذلك بين اعمالهم واميالهم فنقدهم نخاز مصيب واطرآؤهم سديد وآدابهم قويمة . وهم يخوضون في احاديثهم في جميع الفنون كي يجد كل واحد منهم مادة يتكلم فيها ولا يتعمقون في المسائل مخافة الملال بل يبسطونها على سبيل العرض ويتساجلون فيها بسرعة . وما منهم من يدفع رأي الآخر بحدة ولا من يدافع عن رأيهِ بعناد ولكنهم يتحاورون للاستفادة والاستنارة ويقفون دون حدود الخصام فكلهم يستفيد وكلهم يتسلى وكلهم يتفرقون مسرورين والحكيم منهم يتزود من تلك الاحاديث مواضيع حرية بالاستبصار

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاحُ

مطالعات

نبأ غريب — جآء في احدى الجرائد الفرنسوية ما محصلهُ ان واحداً من علمآء الانكليز يقال لهُ المستر جون بلطر.ُبورْك قد وُفق الى اكتشافٍ غريب من مقتضاهُ صحة القول بالتولد الذاتي . وذلك انهُ وضع ذرَّة من الراديوم في محلول من الجلاتين عقمهُ تعقيماً شديداً وبعد ان اتى عليهِ يومان فحصهُ بالمجهر (المكرسكوب) فظهر لهُ فيهِ وجود نقطٍ سودآء كان حجمها يكبر ببطءٍ حتى اذا بلغ قطرها الى جزء من ٦٠ الف جزء من القيراط انقسمت الى عدة كائنات جديدة . ولا يخفى ان هذا الامر من المباحث التي احتدم الجدال فيها بين العلمآء في اواسط القرن الماضي مدة عشرين سنة وفي آخر الامر اجمعوا على ان « لا حيّ الا من حيّ » . فان صحّ ما يقولهُ هذا العالم كان ولا جرم فصل الخطاب وتُوصّل منهُ الى الوقوف على اعظم سر من اسرار الحياة

اسئلة واجوبتها

اثبتنا في الجزء السابق (صفحة ٥٦٠ وما بعدها) سؤالاَ من حضرة الفتى النجيب مصطفى افندي رشاد يتضمن الاستفهام عن مآخذ عرضت لهُ في ديوان ابي تمّام في النسخة المطبوعة في بيروت مفسرةً بقلم حضرة الفاضل الشيخ محيي الدين الخياط ولما كان الجواب يقتضي شرحاً طويلاً اضطررنا ان نرجئهُ الى هذا الجزء لضيق المقام

فاماّ ما وطّأ بهِ لتلك المآخذ مما يشبه التعريض بنا لتقريظنا هذه النسخة من الديوان فلو كلف نفسهُ مراجعة ما ذكرناهُ في الكلام عليها علم انهُ لم ينصفنا في هذا القول لاننا لم نقرّظها ولا اوردنا كلمةً يؤخذ منها شهادةٌ بصحة روايتها ولا تفسيرها وانما كان ما اوردناهُ مجرّد اعلانٍ اتّبعنا فيهِ عادتنا عند ذكر الكتب التي لا نجد فيها وجهاً للتقريظ ولا داعياً لاضاعة الزمن في تصفحها وانتقادها

واما الابيات التي اشار اليها فسنذكر ما يحضرنا فيها مع غض الطرف عما جاء في كلام المفسّر وقوفاً عند الغرض المقصود من السؤال وتفادياً من التطويل فيما لا فائدة من بيانهِ . فأول تلك الابيات قول أبي تمام

كم احرزت قُضُب الهنديّ مصلتةً　تهتزُّ من قُضُبٍ تهتزُّ في كثبِ

اراد بالقُضُب الاولى السيوف وبالقُضُب الثانية الغصون ومن الداخلة عليها بيان لكمْ . والكثب جمع كثيب وهو التلّ من الرمل وهو بضمّ اولهِ وثانيهِ فاما الكثب الذي بمعنى القرب فهو بفتحهما . وقولهُ تهتزُّ في الموضع الاول حال من الضمير المستكنّ في مصلتةً وفي الموضع الثاني نعت قضب الثانية . والمعنى كم احرزت سيوف جيش الممدوح حين تجريدها واهتزازها من سبايا تشبه قاماتهنّ الغصون المهتزّة على كثب من الرمال . واما قولهُ

اصلٌ كبرد العصب نيط الى الضحى　عبق بريحان الرياض مطيّبِ

فقولهُ اصلٌ هو بضمتين وهو الوقت بين العصر والمغرب . وقولهُ الى الضحى صوابهُ الى ضحى بحذف ألْ . وعبِق مجرور نعت ضحىً . ومطيب نعت ثانٍ . وقولهُ نيط الى ضحىً الجملة نعت أُصُلٍ على انهُ مفرد كما حكاهُ

في لسان العرب عن ثعلب . يصف الايام التي ذكرها في البيت الاول من القصيدة يقول انها كانت تجمع بين اصيلٍ قد صبغت شمسهُ الافق بصفرتها وضحىً قد تعطرت انفاسهُ بعرف رياحين الرياض . وقولهُ

يا عَقْبَ طوق ايُّ عقب عشيرةٍ		انتم وربة معقب لم يعقبِ

العقب هنا الولد . وقولهُ وربة معقبٍ لم يعقب ربة هي رُبَّ الجارة أُلحِقت بها التآء . والمُعقِب بضم الميم وكسر القاف اسم فاعل من أَعقَبَ اذا ترك عقباً . وقولهُ ايُّ عقب عشيرةٍ انتم استفهام تعجب يقول يا بني طوق وهم قوم الممدوح لله درّكم من خلَفٍ لعشيرة طوق ورُبَّ رجلٍ لهُ خلَفٌ الا ان خلفهُ لم يرث اخلاقهُ ومحامدهُ فكانهُ لم يترك خلفاً . وقولهُ

ولو تبسَّمَ عُجنا الطرف في بَرَدٍ		وفي اقاحٍ سقتها الخمر والضَرَبُ

عجنا بضم اولهِ وهو فعلٌ ماضٍ مسند الى ضمير المتكلمين من قولهم عاج ناقتهُ بالمكان اي وقفها استعارهُ للطَرْف اي النظر . يقول لو تبسمت هذه المحبوبة لوقفت ابصارنا شاخصةً الى ثغرٍ كالبرَد والاقاحي التي قد سقاها رضابٌ كالخمر والعسل . وقولهُ

ما لي بربعٍ منهم معهودهُ		الا الاسى وعزيمة المجلود

في رواية هذا البيت خطأٌ وهو قولهُ معهوده وصوابهُ معهودِ بترك الضمير المضاف اليهِ والبيت مصرَّع . والمجلود هنا مصدر بمعنى الجلَد . اي ليس لي في هذا الربع الذي كنت اعهدهُ آهلاً بهم الاّ الحزن لرحيلهم والتجلد على فقدهم . وقولهُ

وهي كالظبية النوار ولكن		ربما امكنت جناة السَحُوقِ

الجناة بفتح الجيم وهي ما يُجنى اي يُقطَف من الثمر وهي بالرفع فاعل امكنت . يقول هي كالظبية النافرة لاوصول اليها ولكن اطماعنا لا تنصرف عنها فان ثمر النخلة الطويلة مع صعوبة الوصول اليهِ قد يُنال . وقولهُ اخيراً

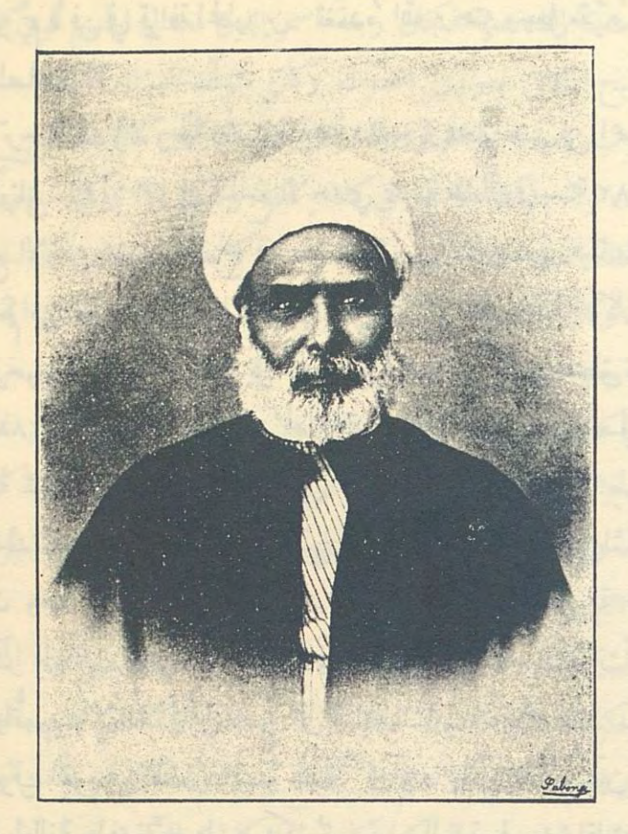
يومُ حلق الملمَّات ذاك وهذا ال يومُ في الروم يوم حلق الحلوقِ

صوابهُ يوم حلق « اللِمّات » جمع لِمّة بالكسر وهي الشعر المجاوز شحمة الاذن ويريد بهِ اليوم المعروف بيوم تحلاق اللِمَم وهو يومٌ مشهور كان بين بكر وتغلب لان البكريين جعلوا شعارهم فيهِ حلق اللمم . والبيت تفسيرٌ للبيت الذي قبلهُ وهو قولهُ

يومُ بكر بن وائلٍ بقضاتٍ دونَ يوم المحمّر الزنديق

قولهُ بقضاتٍ يريد اسم المكان الذي كانت فيهِ واقعة اليوم المذكور وهو قِضَة بوزن عِدَة فجمعهُ ضرورةً . والمحمّر بكسر الميم المشددة كانهُ اراد بهِ صاحب الراية الحمرآء وكانت احدى فرق الخُرَّمية تلقَّب بالمحمِّرة لانهم كانوا يحمرون راياتهم . والمعنى ان ذلك اليوم حُلِقت فيهِ لمم البكريين واما هذا اليوم فحُلقت فيهِ حلوق الروم اي ذُبحوا

هذا واما ما اقترحهُ السائل من انتقاد الكتاب برمتهِ فمما يضيق وقتنا عنهُ على انهُ لو صُحّح كل ما فيهِ من الغلط لم يغنِ في فهم اغراض الشاعر لان مثل شعر ابي تمام لا يكفي فيهِ تفسير الغريب من الفاظهِ وفيما ذكر من الابيات هنا شاهدٌ كافٍ . ولذلك فان هذه النسخة من الديوان لا تزيد على رواية منظومات ابي تمام وللناظر فيها بعد ذلك ان يلتمس اغراضهُ من غير التفسير الذي علّق عليها وبهذا القدر في هذا المقام كفاية



البقآء لله

في مسآء الحادي عشر من هذا الشهر نعت الينا انبآء الاسكندرية الاستاذ العلامة الكبير والامام الفيلسوف النحرير الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقُطب العلوم العصرية وافتهُ دعوة ربهِ في ذلك الثغر وهو في الخامسة والستين من العمر على اثر علةٍ سرطانية دبّت في كبدهِ بل اصابت كبد القُطر فكان منعاهُ خطباً لا تقاس بهِ الخطوب عمَّ الرزء فيهِ فبكتهُ العيون بدمآء القلوب وحقَّ للامة المصرية ان تبكي فقيداً من ابنآئها قد لا يُخلفهُ عليها الدهر بل للامة العربية ان تندب اكبر عاملٍ من علمآئها في هذا العصر وفي اليوم الثاني نُقلت جنازتهُ الى العاصمة فسير بها بين الوفٍ من المشيعين حتى اذا بلغوا بها الى الجامع الازهر

صُلّي عليهِ ثم دُفن في قرافة المجاورين تغمدهُ الله برحمتهِ وجعل مقرّهُ بين جماعة اوليآئهِ المصلحين

اما ترجمتهُ فقد وُلد رحمهُ الله سنة ١٢٥٨ للهجرة بمحلة نصر من اعمال مديرية البُحَيرة وتلقى مبادئ العلم في الجامع الاحمدي بمدينة طنطا وفي سنة ١٢٨٢ انتقل الى الجامع الازهر وبعد ان تخرج فيهِ مدة ثلاث سنوات استوفى فيها ما تدعو اليهِ حاجة المتعلم من علوم العربية والشرع نزعت نفسهُ الى العلوم العقلية وكان مدرّسها يومئذٍ المرحوم الشيخ حسن الطويل فحضر عليهِ شيئاً من كتب المنطق والحكمة. وفي سنة ١٢٨٨ ورد على القطر السيد جمال الدين الافغاني الشهير فاتصل بهِ ولزمهُ واخذ عنهُ شيئاً كثيراً في الكلام واصول الفقه والمنطق والحكمة النظرية والهيئة القديمة والحديثة فنبغ في ذلك كلهِ. ولما اشتهر فضلهُ وعلمهُ عيّنهُ رياض باشا رئيساً لقلم المطبوعات وعهد اليهِ في انشآء جريدةٍ رسمية سماها بالوقائع المصرية هي التي لا تزال تصدر الى اليوم وهي اول جريدة في القطر . وفي اثنآء ذلك نشأت الثورة العرابية واتُّهم بمالأة الثائرين فنُفي الى الديار الشاميـة ولبث ست سنواتٍ في بيروت فعرف القوم فيها فضلهُ والتفّ حولهُ كبرآؤها وادبآؤها ثم عُيّن استاذاً في المدرسة السلطانية بها فتخرّج على يديهِ كثيرٌ من نوابغ الطلبة وفي مدة اقامتهِ بها كتب شرحهُ لخطَب الامام علي المعروفة بنهج البلاغة وشرح مقامات بديع الزمان

وفي تلك المدة كان السيد جمال الدين الافغاني قد وصل الى باريز آتياً من كلكتا وكانت المكاتبة بينهما لا تنقطع فسار اليهِ وانشأ معهُ جريدة العروة الوثقى ومع انهُ لم يُكتَب منها الا ثمانية عشر عدداً فقد اخذت ابعد مكانٍ من الشهرة وحسبك بجريدةٍ يتولى كتابتها مثل هذين الحكيمين . وعلى اثر ذلك سعى بعض آحاد الاسرة الخديوية في اصدار العفو عنهُ فعاد الى الديار المصرية وبعد ان التقى بها عصاهُ عيّنهُ الخديوي السابق المغفور لهُ محمد توفيق باشا قاضياً اهليًا ثم نُصِب مستشاراً في محكمة الاستئناف وسُمّي عضواً في مجلس ادارة الجامع الازهر وفي سنة ١٣١٧ عُيّن مفتياً للديار المصرية وهو المنصب الذي توفي عنهُ رحمهُ الله تعالى

اما صفاتهُ الشخصية فكان ربعةً اسمر اللون معتدل الجسم قويّ البنية حادّ النظر فصيح المنطق جهوَريّ الصوت وكان متوقّد الفؤاد ثاقب البصيرة قويّ الحجة ذَرِب اللسان بليغ العبارة اذا وقف للخطابة كان كانما يتلو عن ظهر قلبهِ فلا يتوقف ولا يتلكأ ولا تجد في كلامهِ لفظةَ ركيكة ولا تركيباً سخيفاً حتى لو كتبت لفظهُ الذي يقولهُ على البداهة وجدتهُ كاحسن ما ينشئ المترسلون من الفصحآء . وكان آيةً من آيات الله في قوة الحفظ وسرعة التناول حتى انهُ تعلّم اللغة الفرنسوية وهو فوق الاربعين فلم يأتِ عليهِ الاّ اشهرٌ حتى كان يجيد فهمها ثم كان يتكلم فيها كاحد اهلها ولم يُروَ مثل ذلك الاّ عن استاذهِ السيد جمال الدين وذلك فضل الله يؤتيهِ من يشآء . ومع بعدهِ عن الشعر وعدم اشتهارهِ بهِ فانهُ كان مطبوعاً عليهِ يجيدهُ متى اراد وقد نظم أبياتاً قُبَيل احتضارهِ روتها لهُ احدى الجرائد اليومية ننقل منها البيتين الآتيين

ولستُ ابالي ان يقال محمدٌ ابلّ او اكتظّت عليهِ المآتمُ
ولكنّ ديناً قد اردتُ صلاحهُ أُحاذرُ أن تقضي عليهِ العمائمُ

وفي هذين البيتين اشارةٌ لا تخفى على المطالع ومن علم ما كان ينويهِ من توسيع نطاق العلم في الجامع الازهر حتى يكون كاحدى الكليات الكبرى في اوربا ثم ما كان يحاول ابطالهُ من البدع التي كان يراها من مفاسد الامة واطّلع على ما لقي امثالهُ من كبار المصلحين في كل عصر تبدّت لهُ تلك الاشارة مشروحة المتن واضحة المغزى سامح الله ذوي المآرب وغفر لهم ما اسآءوا بهِ الى هذه الامة الاسيفة بل الى الشرق الاسلامي على العموم ورحم الله تلك النفس الطاهرة واثابها عما نوت من الخير الكبير ولكل امرئٍ ما نوى

هذا مجمل ترجمة حياتهِ اوردناهُ بالاختصار واما بيان اعمالهِ في القطر وما كان لهُ من التأثير في عقول المتنورين من ذويهِ فسنفرد لهُ مكاناً مخصوصاً في الجزء التالي ان شآء الله

فكاهات

شرلوك هولمز [1]

— ١١ —

كؤوس الخمر الثلاث

في صبيحة ليلةٍ باردة من شتاء ١٨٩٧ بينما كنت نائماً اذا بصوتٍ يناديني ويدٍ تهزّني فاستيقظت فوجدت شرلوك حاملاً مصباحهُ بيدهِ وهو يقول قم يا وطسن واتبعني حالاً ولا تضع الوقت بالسؤال فان امامنا عملاً خطيراً على ما أظن. فنهضت للحال ولم تمرّ عشر دقائق حتى كنت واياهُ في مركبة اقلتنا الى المحطة حيث تناولنا كأساً من الشاي ثم ركبنا القطار الذي يقلّنا الى كِنت . فلما اخذنا مكاننا منهُ اخرج شرلوك من جيبهِ رسالة قرأها علناً فاذا فيها ما يأتي

« من مرشام (كِنت) الساعة الثالثة والنصف صباحاً »

« عزيزي شرلوك . ارجو مساعدتك فوراً في امر مهم الى الغاية لا اشك في انهُ يروقك . وسأبقي كل شيء في مكانهِ كما وجدتهُ الا السيدة لكي تفحص بنفسك فارجو ان لا تضيع دقيقةً واحدة لانهُ لا يمكن ابقاء السير اوستاس هناك »

« ستانلي هو بكنس »

ولما أتمّ قرآتها قال ان صديقنا هو بكنس قد استدعاني عدة مرار وكانت دعوتهُ في جميعها مهمة وذات نتيجة كنت اسرّ بها لاحتوائها على ما يهمني في صناعتي . وفي دعوة اليوم ما يشير الى حدوث قتل ويغلب على ظني ان القتيل هو السير أوستاس برا كنستال فانهُ هو صاحب القصر المطبوع اسمهُ على رسالة هو بكنس

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

وان ما في كتابة الرسالة من التسرع والارتباك مع ما اعلم في طبع هو بكنس من السكينة والاناة يدل على ان في الامر جناية فظيعة وانهُ ترك الجثة حيث هي لنراها. ويظهر لي ان الجناية حصلت قبل نصف الليل لانهُ لا بدَّ ان يكون قد حضر الشحني المحلي الى مكان الحادثة ثم اخبر دار الشحنة في لندن فذهب هو بكنس بنفسهِ واستدعاني من هناك وهذه الحركة لابد ان تستغرق ما يزيد على اربع ساعات

ولما بلغنا الى محطة شزلهرست نزلنا واخذنا مركبة اقلتنا الى القصر المقصود ففتح لنا باب الحديقة رجلٌ مسنٌّ عليهِ علامات الحزن الشديد والرعب فدخلنا الى حديقة حافلة سرنا بين صفين من اشجارها حتى انتهينا الى القصر وكان هو بكنس ينتظرنا على بابهِ . فقال اني اشكر اجابتكما طلبي بهذه السرعة ولو علمت ما علمتهُ قبل ارسال الدعوة لما كلفتكما المجيء في هذا البرد القارس اذ ظهر ان الامر بسيط ليس فيهِ ما يستوجب اهتمامك ايها العزيز شرلوك . وذلك انك ولا بد قد سمعت بالشرير رندل وولديهِ وما فعلوهُ في سيدنهام منذ اسبوعين فانهم قد جآءوا هذا القصر للسلب وقتلوا السير اوستاس ففي هذه المرة لا ينجون من المشنقة. وقد قتلوا السير المذكور بضربة شديدة على امّ رأسهِ اطارت دماغهُ اما اللادي زوجتهُ فقد شاهدت في هذه الليلة ما تركها كالاموات وربما فقدت المسكينة شعورها بعد تلك الاهوال غير انني ارى الافضل ان نقابلها معاً وتسمع من فيها تفاصيل الحادثة. ثم قادنا هو بكنس الى غرفة اللادي فوجدناها فتاةً لا يعيب جمالها سوى اصفرار وجهها وآثار الشجون التي ولا بدَّ قد حصلت من هول ما اصابها وكانت ملقاةً على مقعدٍ وعلى حاجبها الايمن آثار رضة قوية وكانت خادمتها مكبة فوقها تضع لها الضمادات والمكمدات . فلما رأتنا نظرت الى هو بكنس وقالت قد اخبرتك بكل شيء فهلا وفَّرت عليَّ اعادة هذا الحديث ونبت عني في تلاوتهِ على السيدين القادمين . قال لا بأس يا سيدتي فاني افضل ان يسمعا الحديث منكِ . فأطرقت حيناً ثم تنهدت واخذت في حديثها فقالت

انني زوجة السير اوستاس براكنستال وقد اقترنت بهِ منذ سنة. ولا انكر ان

معيشتنا الزوجية لم تكن مرضية وربما كنت انا المخطئة في عدم وفاقنا لانني ربيت في جنوبي استراليا حيث الحرية التامة ولم اعتد قوانين السلوك المصطلح عليها في هذه النواحي . اما السبب الصحيح فهو كما يعرف الجميع ان زوجي يتعاطى المسكر فلا اراهُ مرةً الا ثملاً فاقد الرشد فهل تتصورون حالة امرأة مثلي مسجونة في هذا البيت مع رجل لا ينقطع عن الشرب ليلاً ولا نهاراً فلا استطيع ان احادثهُ ولا ان اسرّ بمعاشرتهِ . وقد كان من الواجب ان لا تكون قيود الزواج محكمة العرى كما هي في شريعتنا لان الطلاق بل الانتحار ايضاً افضل من الارتباط بمثل هذه المعيشة . ولكن ما لنا ولذلك فلنعد الى ما كان من حادث امس . ان جميع الخدم ينامون في الجانب الآخر من هذا القصر ولا ينام في هذه الجهة الا انا وزوجي وخادمتي الامينة تريزا هذه فغرفتها فوق غرفتي وتحتنا غرفة الطعام وغرفة الاستقبال وما يجاورها. فاذاجاءَ وقت النوم وتفرق الخدم لا يعود في الامكان استدعاؤهم مهما حصل لبعد المسافة ولا بد ان يكون اللصوص قد عرفوا هـذه الحقيقة حتى فعلوا ما فعلوا بدون خوف من احد . وقد نام زوجي امس الساعة العاشرة والنصف وانصرف الخدم الى محلاتهم وذهبت تريزا الى غرفتها اما انا فكنت اقرأ في غرفتي هذه الى الساعة الحادية عشرة . وكانت عادتي ان اطوف قبل النوم فاتفقد الغرف بنفسي لانني كما اسلفت لم اكن اعتمد على زوجي فان سكرهُ كان ينسيهِ حتى نفسهُ فذهبت الى المطبخ فغرفة المؤونة ثم الى غرفة السلاح وغرفة التدخين وغرفة الاستقبال و بلغت غرفة الطعام فوجدت نافذتها الكبيرة لا تزال مفتوحة ينفخ الهواءَ من وراءَ ستائرها الثقيلة . فاقتربت لاقفلها ولما رفعت الستارة وجدت امامي رجلاً متقدماً في السن كبير الجسم عريض المنكبين ووراءهُ رجلان اصغر منهُ سناً وافظع منهُ شكلاً . رأيت كل ذلك بلمحة سريعة على نور الشمعة التي كانت بيدي فهالني المنظر ورجعت خطوتين الى الوراءَ واذا بالرجل قد وثب على عنقي فحاولت الاستغاثة فلطمني بقبضتهِ على حاجبي الايمن وسقطت الى الارض فاقدة الشعور . ولما افقت وجدت انهم قد قطعوا حبل الجرس واوثقوني بهِ الى كرسي كبير في تلك الغرفة

امام المائدة وكان الرباط شديداً جدًّا وقد وضعوا في فمي منديلاً فلم استطع الحركة ولا الكلام . ويظهر ان زوجي المسكين سمع شيئاً من تلك الحركة فنهض من نومهِ واخذ عصاهُ بيدهِ وجاء الى الغرفة فلما دخل رأى واحداً من اولئك الملاعين فهجم عليهِ ولكنهُ لم يبلغهُ حتى كان كبيرهم قد مد يدهُ فاخذ القضيب الحديدي الذي نستعملهُ لتحريك النار وضربهُ بهِ ضربةً قوية على ام رأسهِ فسقط الى الارض بدون كلمة ولا حركة . فلما رأيت ذلك فقدت رشدي ثانيةً ولما افقت رأيتهم قد جمعوا الآنية الفضية واخذوا زجاجة خمر فتحوها فشرب كلٌّ كأساً منها وجعلوا يتكلمون همساً وقد استدللت مما ظهر لي منهم انهم ابٌ وولداهُ . ثم اقتربوا مني فتعهدوا وثاقي وبعد ذلك خرجوا من النافذة واقفلوها وراءهم . اما انا فحاولت جهدي حتى تمكنت بعد ربع ساعة من اخراج المنديل من فمي وجعلت استغيث فسمعت خادمتي تريزا واسرعت اليَّ وبعد قليل استدعت الخدم فذهب بعضهم لاحضار الشحنة وهؤلاء استدعوكم من لندن . فهذا كل ما جرى وكل ما اعلم وارجو ان لا اضطر مرةً اخرى الى اعادة هذا الحديث المؤثر المخيف

وكان شرلوك يسمع باصغاء تام فقال اظن يا مولاتي اننا لا نكدركِ باعادة هذا الحديث الا بعد ان افحص الغرفة التي حصلت فيها الجناية ولكن هل تعرف خادمتكِ شيئاً غير الذي سمعناهُ . فقالت الخادمة رأيت الرجال قبل دخولهم المنزل من نافذة غرفتي على نور القمر وكانوا خارج سور الحديقة فلم يهمني امرهم ولكنني سمعت بعد نحو ساعة صراخ مولاتي فاسرعت اليها ووجدتها كما ذكرَت ورأيت زوجها ملقى كما لا يزال حتى الآن وقد تغطت الارض التي سقط عليها بدماغهِ ودمهِ . فقال هو بكنس هلمَّ بنا الآن لنرى غرفة الطعام فخرجنا ورأيت ان آثار الاهتمام قد بدأت تزول من وجه شرلوك لانهُ ان لم يكن في الحوادث اسرارٌ غريبة فهو لا يرى فيها ما يلذهُ ولم يكن في المقتل سرٌّ غريب وقد عرف هو بكنس القتلة فصار القاء القبض عليهم من واجبات رجال الشحنة ولذلك كان يتبع هو بكنس بدون اكتراث . وبلغنا غرفة الطعام فرأيناها كبيرة واسعة في صدرها نافذة كبيرة

والى جانبها ثلاث نوافذ اصغر منها . والى الجهة الاخرى مستوقد كبير عليهِ اطار مرتفع من الخشب المنقوش والى جانب المستوقد كرسي كبير رأينا عليهِ حبلاً احمر معقوداً في عدة محلات منهُ لانهم لما اخرجوا اللادي منهُ لم يحلوا جميع عقدهِ . وكان امام المستوقد جلد نمر كبير وعليهِ جثة السير اوستاس وهو في الاربعين من العمر طويل القامة قصير اللحية اسود الشعر وكان ملقًى على ظهره ووجههُ منحرف الى جهة الباب والى جانبهِ عصاً متينة من الزعرور . اما رأسهُ فكان مشقوقاً شقاً كبيراً تطاير منهُ الدماغ حتى الى الحائط وكان بجانبهِ القضيب الحديدي الذي ضرب بهِ وقد اعوجّ طرفهُ من شدة الضربة . وكان شرلوك يلاحظ كل ذلك بانتباه ودقة فقال يظهر ان لرندل قوة غريبة تدل عليها هذه الضربة ومع ذلك فالامر واضح ولا ارى اقل صعوبة في امساكهِ . فقال هو بكنس نعم فقد بلغني ان اولئك الاشرار يقصدون السفر الى اميركا فارسلت الاخطارات اللازمة الى جميع الطرق ولذلك يستحيل خروجهم من انكلترا بامان

وكان شرلوك يسمع الحديث وقد جثا امام الكرسي يفحص عقد الحبل الاحمر الذي كانت اللادي مقيدة بهِ ثم عاد الى الجرس الذي قطع منهُ الحبل ففحصهُ ايضاً وقال لا بدّ ان للصوص خبرة تامة باحوال البيت والا لما تجاسروا على قطع الحبل بجذبهِ كما فعلوا فان ذلك يقرع الجرس وينبه الخدم لو كانوا بالقرب من الغرفة ويتراءى لي ان بينهم وبين احد الخدم اتفاقاً على هذا العمل ولم يكن من المستبعد في ظني ان تكون تريزا موافقة لهم لو لم يكن في هذا الظن ما يجرح صدق رواية اللادي سيدتها . ولكن هل تحققتم قيمة الآنية المسروقة . فقال هو بكنس لم يأخذوا شيئاً لهُ قيمة كبيرة واظن ان مقتل السير اوستاس رعبهم حتى نسوا الغرض الذي اتوا من اجلهِ . فقال شرلوك بتهكم اجل ومع ذلك فقد فتحوا زجاجة خمر وشربوا ثلاث كؤوس منها . ولما قال هذا اقترب من مائدة عليها الزجاجة والكؤوس الثلاث وجعل يفحصها بدقة فوجد في كل كاس قليلاً من الخمر وفي الكاس الثالثة شيئاً من الغبار وأجنحة ذباب . وكانت الزجاجة بالقرب وقد سقطت سدادتها الى جانبها

فاخذ شرلوك السدادة وتأملها هنيهةً ثم قال اني ارى فيها اثر ثلاث وخزات عميقة فيغلب على ظني انهم فتحوها بسكين كانت مع احدهم والاغلب انها من سكاكين النوتية التي تحتوي على عدة ادوات . ولكن هذه الكؤوس تشغل فكري غير ان الامر واضح لديك ايها العزيز هو بكنس ولا تحتاج الى مساعدتي فانت تعرف غرماءَك فجدَّ في اثرهم وعسى ان اهنئك قريباً حين تلقي عليهم القبض

ثم خرجنا وتركنا هو بكنس وعدنا كما جئنـا ولكنني رأيت شرلوك قلقاً جدًّا كمن تنتابهُ الافكار المتفرقة فعلمت انهُ راى في تلك الحادثة غير البساطة التي ذكرت وكأن فطنتهُ الغريزية كانت تدفعهُ الى زيادة البحث وتدقيق الفحص. وبلغ بنا القطار محطةً في نصف الطريق فوقف وقبل ان يعاود المسير وثب شرلوك الى الرصيف وجذبني معهُ فتبعتهُ وقد استغربت عمل صديقي هذا ولكنهُ نظر اليَّ بلطف وقال اعذرني يا وطسن فانني لا استطيع كبح جماح افكارٍ تسلطت عليَّ لان كل حاسة فيَّ تنبهني الى ان الامر ليس كما رايناهُ . اجل ان رواية اللادي كانت طبيعية وتصديق الخادمة لها لا يحتمل التأويل ولكنني لو بحثت عن هذه الحادثة قبل ان سمعت الرواية لرايت غير ما راينا فلا بدَّ من رجوعي لاتحقق بعض الامور وسننتظر عودة القطار الثاني لنذهب فيهِ. وانا اعرض عليك الآن بعض ظنوني فقل لي ما ترى فيها . ان اللصوص المتهمين قد ارتكبوا جناية منذ اسبوعين في سيدنهام فكتبت جميع الجرائد عن عملهم ووصفتهم وصفاً مدققاً فلا يبعد ان يكون الوصف الذي ذكرتهُ اللادي مبنيًّا على ما قرأتهُ في الجرائد لا على مشاهدتهم حقيقةً . ثم انهُ لا يعقل ان عصابةً من اللصوص ترتكب جريمةً وتفوز بار باحها الطائلة ثم تعود بعد اسبوعين فقط لارتكاب جريمة اخرى قبل ان تنسى الشحنة امرها الاول . ثم انهُ لا يعقل ايضاً ان يكون اللصوص قد ضربوا اللادي على حاجبها لكي يسكتوها لان هذا العمل يحملها على زيادة الصياح . وفوق ذلك فان عددهم اكثر وهم اقوى فلم يكن موجب لقتل السير اوستاس بل كان في امكانهم تقييدهُ ايضاً كما فعلوا بزوجتهِ . واغرب من كل ذلك ان يفتح ثلاثة لصوص اقوياء زجاجة من الخمر فلا

يشربوا الا اقل من نصفها . ثم اني اعجب من تقييد اللادي الى الكرسي واعجب اكثر من ذلك من مسالة الكؤوس الثلاث وهذا وحدهُ يحملني على العود الى فحص الحادث . فقد قيل لنا ان الاشخاص الثلاثة شربوا من الخمر كلٌّ بكأسهِ واذكر الآن ان كأسين كان فيهما اثر الخمر اما الثالثة فكان فيها شيءٌ من الخمر تعلوهُ اجنحة ذباب وغبار فلا يمكن ان يكون الشاربون ثلاثة . وليس لهذا العمل الا تأويل واحد وهو ان الخمر سكبت في كأسين ثم وضع عكرها في الكأس الثالثة ليتوهم من ذلك ان ثلاثة اشخاص شربوا بثلاث كؤوس . واذا تحققت هذا الدليل ثبت لنا ان اللادي براكنستال لم تقل الحقيقة وانها وخادمتها متفقتان على كتمان الامر بتدبيرٍ يعجز عنهُ امهر الدهاة لاخفاء القاتل الحقيقي واذا كانت هذه غايتهنَّ فمن المحال ان ننتظر حلاًّ منهنَّ وعلينا ان نبحث عن الحقيقة بنفسنا

وجاء القطار الذي يعود الى شزلهرست فركبناهُ ولما بلغنا المنزل تعجب الجميع من رجوعنا السريع وكان هو بكنس قد ذهب لابلاغ تقريرهِ الى الادارة . فدخل بي شرلوك الى الغرفة التي حصلت فيها الجناية واقفل الباب من الداخل فقضى ساعتين في البحث والتنقيب . اما انا فكنت اتبعهُ والاحظ اعمالهُ كتلميذٍ ينظر الى استاذهِ ليستفيد من كل حركةٍ يجريها . وكانوا قد نقلوا الجثة فدار شرلوك يفحص النافذة والستائر والبساط والكرسي والحبل ثم وثب فجأةً الى راس الإطار الخشبي الذي فوق المستوقد وجعل يفحص بقية حبل الجرس حيث قُطع ولكي يراهُ عن قرب اسند رجلهُ الى رفٍّ خشبي في الحائط ولكنهُ ما كاد يفعل ذلك حتى وثب ثانيةً الى الارض وقد بانت على وجههِ علامات الارتياح فقال لقد صدق ظني يا وطسن فاؤكد لك ان الامر في غاية الغرابة والدقة وكنت قد كدت اترك الاهتمام بهِ فقد استفدت من هنا ان لا استخفَّ بشيء البتة . واذ ذاك فلا لصوص في الامر ولكن هناك رجلٌ واحد جسور قوي تدل على قوتهِ ضربتهُ للسير اوستاس فانها عوَّجت القضيب الحديدي كما رايت وهو يزيد على ستة اقدام طولاً خفيف الحركة جدًّا سريع الخاطر لانهُ في لحظةٍ لفَّق الرواية التي حكتها لنا اللادي . وقد

رايت في حبل الجرس دليلاً آخر وهو انهُ لو كان مقطوعاً بجذب اليد لوجب ان ينقطع من حيث هو مربوط بالجرس او من اضعف موضع منهُ ولكنهم في قطعهم اياهُ قطعوهُ من امتن محل فيهِ بسكين كما رايت لما صعدت فوق المستوقد وذلك يدل على انهم احتاجوا الى الحبل وخافوا ان جذبوهُ ان يقرع الجرس وينبه الخدم فصعد الرجل كما صعدت انا الآن وقطعهُ بسكينهِ ومن ارتفاع مكان القطع عرفت طول الرجل وانهُ اعتمد برجلهِ على هذا الرف الخشبي حيث لا يزال الاثر مرسوماً على الغبار الذي عليهِ . ثم انظر الى الكرسي تجد عليهِ نقطة دم تكذّب رواية اللادي لانهُ لو صحّ ما قالتهُ انهم قتلوا زوجها بعد تقييدها على الكرسي كيف امكن ان تصل نقطة الدم الى تحتها فلا بدّ اذاً انها قُيّدت بعد قتل زوجها ولو فحصنا ثوبها الذي كانت مرتدية بهِ لوجدنا اثر هذه النقطة

وبعد ان اتم شرلوك ذلك خرجنا من الغرفة فرأينا الخادمة تريزا فجعل شرلوك يحادثها بدهائهِ المعهود فعلم منها انها كانت تكره سيدها كراهةً شديدة لانهُ كان يضايق زوجتهُ ويسيء معاملتها وعددت اموراً كثيرة من اعمالهِ القاسية . وانها جاءت مع سيدتها منذ سنة ونصف فوصلت الى انكاترا في شهر يوليو ورآها السير اوستاس فاحبها واحبتهُ وقد غرها ما رأتهُ فيهِ لاول وهلة من الجمال والمال والاسم الحسن فاقترنت بهِ ولم تمضِ على زواجها ايام حتى رأتهُ كما هو فندمت حين لا ينفع الندم ولكنها صبرت على مضض البلوى وكانت تستر اعمالهُ جهدها . ثم طلب شرلوك ان يرى سيدتها فقادتنا الى غرفتها وهي تقول بربكما لا تطيلا حديث الواقعة امامها فقد حملت من ذكرها ما يكفي . ولما دخلنا الغرفة وجدنا اللادي برا كنستال على المقعد الذي كانت عليهِ في الصباح وعند مشاهدتنا قالت هل اتيتما لكي تستنطقاني ثانيةً . فقال شرلوك كلا يا مولاتي وانما جئتك سرًّا كصديقٍ يودّ مساعدتكِ اذا شئتِ ولكني اول كل شيء اودّ ان تقولي لي الحقيقة بصراحة . قالت لا يوجد غير ما قلتهُ لك . قال وانا اؤكد لكِ يا مولاتي ان كل ما قلتهِ في الصباح لم يكن الا روايةً مختلقة . ونظرتُ فاذا السيدة وخادمتها قد تغير لونهما فصاحت

الخادمة اخرس ايها الوقح او تتجاسر على تكذيب مولاتي . فلم يجبها شرلوك بكلمة ولكنهُ نهض فالتقى الى اللادي براكنستال نظراً احد من السهم وقال انصح لكِ يا مولاتي ان تثقي بي وتطلعيني على الحقيقة بتمامها . فترددت اللادي وبان عليها الارتباك ولكنها تجلدت وقالت لا جواب عندي غير ما قلتهُ لك قبلاً . فاخذ شرلوك قبعتهُ وانصرف فتبعتهُ وهما تنظران الينا وكان عند باب القصر شبه بحيرة صغيرة قد تجلدت المياه على وجهها من شدة البرد وكان في وسط ذلك الجليد قطعة صغيرة منهُ قد ذابت وتكسرت فوقف شرلوك ينظر اليها ثم اخذ من جيبهِ ورقة كتب عليها بضع كلمات واعطاها للخادم وقال لهُ اذا رجع المفتش هو بكنس فاعطهِ هذه

وتوجه بي شرلوك بعد بلوغنا لندن الى شركة البواخر الاسترالية فطلب مواجهة المدير ثم اخذ الاثنان يبحثان في الدفاتر والسجلات فوجدا اسم الباخرة جبل طارق التي اتت من استراليا في يونيو سنة ١٨٩٥ وانهُ كان من جملة المسافرين عليها السيدة ماري فريزر وخادمتها تريزا وان نوتية الباخرة لا يزالون كما كانوا في ذلك الوقت سوى واحد منهم وهو ثاني الربان واسمهُ كروكر فانهُ رقي الى رتبة ربان وأعطي باخرة اسمها الصخرة وستقلع بعد يومين من سوثمبتون . وسأل شرلوك عن صفات هذا الرجل فقيل لهُ انهُ رجلٌ قويُّ البنية حسن السلوك ابيُّ النفس شريف الطبع لا يبارَى في قوة العزم واصالة الرأي . فشكر شرلوك المدير وخرج فرأيتهُ مطرقاً برأسهِ الى الارض ثم قال لي يخطر في بالي يا وطسن ان ادلّ هو بكنس على غريمهِ. ولكن لا فاذا عرّفتهُ باسمهِ لا تعود توجد طريقة لخلاصهِ وفي قانون الشريعة ما يخالف احياناً صوت الضمير فان نفسي لا تساعدني على تسليم القاتل حتى الآن . ولما بلغنا منزلنا في شارع باكر وجدنا هو بكنس في انتظارنا فاستقبلنا بقولهِ اعوذ بالله من مهارتك يا شرلوك افأنت ساحر فكيف عرفت ان الاواني الفضية المسروقة مخبوءة في مياه البحيرة تحت الجليد . فانهُ لما وصلتني تذكرتك اسرعت الى البحيرة وفحصت غور المياه حيث خار الجليد فوجدت الاواني الفضية كما هي فلا انكر انك

خدمتني خدمةً عظيمة بهذا الاكتشاف ولكنك سببت لي ارتباكاً اشدّ لانهُ ما هو الداعي للصوص ان يدخلوا المنزل تحت الخطر ويقتلوا الرجل ويقيدوا المرأة ليسرقوا بعض اوانٍ فضية فيأخذوها ويلقوها في بحيرة ضمن حديقة القصر . فقال شرلوك وهذا ما جعلني اظن ان الاواني الفضية انما أُخذت لتحويل التهمة الى سرقة وهي في الحقيقة غير ذلك . فقال هو بكنس ومما يزيد ارتباكي في هذا الحادث خبرٌ سمعتهُ اليوم وهو ان رندل وولديهِ قد قُبض عليهم صباح امس في نيويرك ففي هذا ما يؤكد انهم ليسوا الفاعلين في جناية امس . غير ان ذلك لا يمنع وجود عصابة اخرى تشبههم فلست بمستريح قبل ان اقبض على اعناقهم بيدي . فقال شرلوك اذهب وابذل جهدك ايها العزيز واني من صميم القلب اتمنى لك الفوز والنجاح واذا رأيت ما يستدعي مساعدتي فتيقن اني ابذل جهدي لخدمتك

وكان شرلوك في اثنآء رجوعنا الى البيت قد ارسل رسالة برقية لم اعلم وجهتها فبعد ان خرج هو بكنس وخلونا في غرفتنا قال لي لقد كدت اطلع هو بكنس على الحقيقة ولكن ضميري لا يزال يمنعني لان الذي اعلمهُ انا غير رسمي وما يعلمهُ هو يصير رسمياً على اني لا اجد بدّاً من كتم الامر الى ان استوضحهُ على حقهِ. فقلت لهُ ومتى تظن انك تتمكن من ذلك . فنظر الى ساعتهِ ثم قال بعد دقائق قليلة

ولم تمضِ عشر دقائق على كلامهِ هذا حتى سمعنا وقع اقدام على السلم ثم فتح باب الغرفة فدخل منهُ فتى لم ارَ بين كل من عرفتهُ اجمل منهُ هيئةً وقواماً وهو طويل القامة ازرق العينين اشقر الشاربين وقد صبغت حرارة الشمس وجههُ بلون حنطي . فلما دخل اغلق الباب ورآءهُ ووقف امامنا فقال لهُ شرلوك اهلاً بالربان كروكر تفضل وخذ هذا الكرسي. فجلس الرجل وقال بلغتني رسالتك فجئت اليك في الساعة التي عينتها لي وقد بلغني انك ذهبت الى ادارة الشركة وسألت عني فقل لي ماذا تريد او اقبض عليّ ان شئت ولا تعذبني بسكوتك . فتبسم شرلوك وقال خفّض عنك ايها العزيز فلو علمت انك من القتلة الادنيآء لما قبلتك في منزلي قط ولكنني اطلب اليك ان تخبرني بحادثة امس بكل تفاصيلها ولا بد من ابلاغك

انني اعرف الحقيقة ولا يعرفها سواي وفي استطاعتي ان اخفيها الى ما شآء الله او ان اشهرها فاسلمها الى دار الشحنة فاكرر عليك ان تقول الحقيقة فقط فاذا صدقتني امنت واذا حاولت ان تغشني فالويل لك

فصمت الرجل حيناً وهو غائصٌ في التأملات والانفعالات النفسانية ثم قال اني اثق بوعدك يا مولاي واسلم نفسي اليك فخذ مني الحقيقة كما هي وكما يشهد الله بصحتها . ولا تظن اني ندمت أو خفت مما فعلت بل اني افعلهُ ثانيةً اذا وُجدت في مثل الحال التي دعت اليهِ ولو كان لهذا اللعين أوستاس سبعة ارواح لقتلتهُ سبع مرات وارحت العالم من شرهِ وخصوصاً ذلك الملاك اللطيف السيدة ماري فريزر ولا ادعوها اللادي براكنستال لانها اشرف من ان تتلطخ بوصمة اسمهِ . واني سأطلعكما على قصتي واستنزل حكمكما فيها راجياً ان تحسبا انفسكما في مكاني وتقولا لي هل كنتما تفعلان غير ما فعلت . انني اول مرة رأيت فيها السيدة ماري فريزر كانت عند ما سافرَت في باخرتنا من استراليا الى هنا وكنت حينئذٍ ثاني الربان واول ما وقع نظري عليها صمَّمت على ان تكون لي او ان لا اعرف امرأة في العالم . وكانت كلما مرت علينا ساعةٌ يزداد حبي لها وكثيراً ما كنت اجثو في وحدة الليل على ظهر الباخرة فاقبّل الاخشاب التي كانت تطأها قدماها الا انني لم اعترف لها بمحبتي وكانت تعاملني بلطف عظيم ومودة كما تعامل السيدة الشريفة فتى شريفاً . فلما بلغنا انكلترا نزلَت مع المسافرين وربما نسيتني اما انا فلم أنسها وقد صرت لها عبداً

ولما رجعت في السفرة الثانية علمت انها تزوجت فلم ابتئس من ذلك لعلمي بانها قد حصلت على اسم شريف وغنى وافر بل من شدة محبتي لها فرحت لها بهذه النعمة لانها والحق يقال خيرٌ لها من الاقتران بنوتي فقير مثلي . فلما جئت في السفرة الثالثة رأيت خادمتها تريزا فاخبرتني عن حالة سيدتها وسوء معاملة زوجها فكدت افقد عقلي . وكنت قد رقيت الى رتبة ربان فأُذن لي ان اصرف شهرين هنا الى ان تتجهز باخرتي الجديدة فكنت اقابل تريزا وكلما حدثتني عن فظائع سيدها

ومعاملاتهِ لمولاتها تطير نفسي شعاعاً فاكره هذا الوحش الضاري الذي لا يستحق ان يلمس بشفتيه نعلي زوجتهِ . ثم اتفق ان قابلت ماري نفسها على غير انتظار فلم تذكر لي شيئاً غير ما كانت تحادثني بهِ على ظهر المركب ثم طلبت اليّ ان لا اسعى في مشاهدتها بعد . وعلمت من تريزا ان سيدتها تصرف اكثر لياليها في القرآءة في غرفتها وتعرفت منها صفة البيت وغرفهُ فلما قرب موعد سفري صممت ان ارى ماري للمرة الاخيرة فذهبت بالامس واقتربت من غرفتها فضربت على زجاج النافذة ورأتني فلم تشأ ان تفتح ولكنني علمت انها تحبني جدًّا ولو أخفت ما بها . وكانها أشفقت عليّ من وقوفي في البرد خارجاً فأشارت ان اوافيها الى غرفة الطعام وكانت نافذتها مفتوحة فدخلت منها . وجرى بيننا حديث الزمها ان تخبرني عن معيشتها فجعلت تقص عليّ عن زوجها ما اثار دمي وافقدني رشادي . وفي تلك الساعة فتح باب الغرفة فدخل منها زوجها وقد اعماهُ المسكر فجعل يناديها باقبح الاسمآء والشتائم ثم اقترب بعصاهُ وضربها مراراً . فلم استطع احتمال ذلك ولا اعلم ما ذا كنتما تفعلان لو كنتما في مكاني . فتناولت قضيباً حديديًّا كان بقرب المستوقد وضربتهُ على ام رأسهِ وانا لا ادري ما ذا افعل فرأيتهُ ساقطاً تحت قدميّ ولم يتحرك

وسمعت الخادمة شيئاً مما جرى فاسرعت الى الغرفة وكانت ماري قد اوشك ان يغمى عليها لذلك المشهد . ورأيت بالقرب مني زجاجة خمر ففتحتها بسكيني وسكبت شيئاً في فم ماري وشربت انا ايضاً شيئاً منها. اما تريزا فسرَّت بما جرى وساعدتني على اخفآء الامر بتحويل التهمة الى اللصوص ولفقت رواية علمتها لمولاتها بينما كنت اقطع حبل الجرس. ثم جمعتُ شيئاً من الاواني الفضية بقصد ايهام السرقة واوثقت ماري الى الكرسي واوصيتهم ان يستغيثوا بالخدم بعد خروجي بربع ساعة ولما خرجت القيت الاواني الفضية في البحيرة لاتخلص منها . فهذا ما جرى اقولهُ امام الله وامامكما بمنتهى الاخلاص والصدق فان رأيتما في عملي ما يدل على الدنآءة والجرم فانا بين ايديكما

ولما انتهى نهض شرلوك اليهِ فصافحهُ قائلاً انا اؤكد انك اخبرتنا الحقيقة

لانني عرفت من نفسي كل ما تلوتهُ علينا وربما لم تسمع عني يا كروكر والا لما كنت تستغرب مني مثل هذه الاكتشافات . فقال لا شك ان هذا مما لم اكن اتوقعهُ لاننا دبرنا الامر على وجه لا تقدر رجال الشحنة على كشفهِ . فقال شرلوك انهم لم يكشفوا ذلك يا كروكر ولن يكشفوهُ واني لا انكر ان الامر في غاية الاهمية وان كنت لم تفعل ما فعلت الا مدفوعاً بعواطف شريفة توجد في صدر كل انسان كريم ولكن بما انني لست قاضياً فلا ادخل في محاكمتك وقد شعرت بميلٍ خاص الى صفاتك فاذا شئت ان تتوارى عن العيون الى مدة اربع وعشرين ساعة من الآن فأعدك انني لا اقف في طريق سفرك واذا سافرت وأمنت على نفسك من العودة الى هنا اخبرت الشحنة بالامر

وما سمع كروكر هذه الكلمات حتى اصفرّ وجههُ ثم وقف وقد استشاط غيظاً وقال أتظنني اجهل ان الحكومة تعتبر ماري شريكتي في الجرم أو تظنني نذلاً الى هذه الدرجة حتى اتركها تقارع الخطوب بعد ان افوز انا بالنجاة . كلا يا مولاي فها انا متوجهٌ لاسلم نفسي الى الحكومة ولكني استحلفك بشرفك ان تحافظ على اسم ماري فلا تشركهُ معي في هذه الجريمة . فتبسم شرلوك وتقدم اليهِ فصافحهُ ثانيةً وقال لهُ انما قلت ذلك لامتحن اخلاصك لها يا كروكر ولست اجهل انهُ سيكون عليَّ تبعة ثقيلة في اطلاق سراحك ولكنني لا اعتقد ان القضاة اوفر عقلاً مني ومن صديقي وطسن فلنعقد معاً جلسة قانونية نحاكمك فيها فيا وطسن بصفة كونك قاضياً في هذه الجلسة وقد سمعت اقرار المتهم بماذا تحكم . فصحت فوراً احكم ببراءتهِ . فقال شرلوك ليكن كذلك فقد حكمنا ببراءة ساحتك يا كروكر ونعدك اننا لن نذكر شيئاً مما حصل وانا لست بملوم امام هوبكنس فقد اظهرت لهُ عدة أدلة لم ينتفع بها ولا انتبه اليها. اما انت فعد بعد سنةٍ الى ماري التي لا تزال تحبك وعسى ان تكون ايامكما المستقبلة أياماً سعيدة تبرهن لنا ان حكمنا لم يكن في غير محلهِ